

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[65] إِنْتَخَابَ كَلِمَةً (سبع) للكثرة في لغة العرب، رُبَّمَا كَانَ بِسَبَبِ أَنْ السَّابِقِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ عِدَدَ كَوَاكِبِ الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ سَبْعَةٌ كَوَاكِبٌ - وَفِي أَنْ مَا يَرَى الْيَوْمَ بِالْعَيْنِ الْمَجْرُودَةِ مِنَ الْمَنْظُومَةِ الشَّمْسِيَّةِ سَبْعَةٌ كَوَاكِبٌ لَا أَكْثَرَ - وَمَعَ مِلَاحَظَةِ أَنْ السَّبْعَةَ دَوْرَةَ زَمَانِيَّةٍ كَامِلَةٌ تَتَكَوَّنُ مِنْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ لَا أَكْثَرَ، وَأَنْهُمْ كَانُوا يَقْسِمُونَ كُلَّ الْكَرَةِ الْأَرْضِيَّةِ إِلَى سَبْعِ مَنَاطِقٍ، وَكَانُوا قَدْ وَضَعُوا لَهَا اسْمَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ، سَيَتَّضِحُ لِمَاذَا إِنْتَخَبَ عِدَدَ السَّبْعَةِ كَعِدَدِ كَامِلٍ مِنْ بَيْنِ الْأَعْدَادِ، وَاسْتَعْمَلَ لِبَيَانِ الْكَثَرَةِ (1). بَعْدَ ذِكْرِ عِلْمِ أَنَّ اللَّامَحْدُودَ، تَتَحَدَّثُ الْآيَةُ الْآخَرَى عَنْ قُدْرَتِهِ اللَّامْتَنَاهِيَّةِ، فَتَقُولُ: (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنْ إِنْ سَمِيعٌ بَصِيرٌ). قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ: إِنْ جَمَعًا مِنْ كَفَّارٍ قَرِيشٍ كَانُوا يَقُولُونَ مِنْ بَابِ التَّعَجُّبِ وَالِاسْتِيعَادِ لِمَسْأَلَةِ الْمَعَادِ: إِنْ إِنْ قَدْ خَلَقْنَا بِأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَعَلَى مَدَى مَرَاكِلٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَكُنَّا يَوْمًا نَطْفَةٍ، وَبَعْدَهَا صَرْنَا عِلْقَةً، وَبَعْدَهَا صَرْنَا مَضْغَةً، ثُمَّ أَصْبَحْنَا تَدْرِيجًا عَلَى هَيْئَاتٍ وَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَكَيْفَ يَخْلُقْنَا إِنْ جَمِيعًا خَلَقًا جَدِيدًا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟! فَنَزَلَتِ الْآيَةُ مُورِدَ الْبَحْثِ فَأَجَابَتْهُمْ. إِنْ هَؤُلَاءِ كَانُوا غَافِلِينَ فِي الْحَقِيقَةِ عَنْ مَسْأَلَةِ مَهْمَّةٍ، وَهِيَ أَنْ هَذِهِ الْمَفَاهِيمُ كَالصَّعُوبَةِ وَالسَّهُولَةِ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ يُمْكِنُ تَصَوُّرُهَا مِنْ قَبْلِ مَوْجُودَاتِهَا قُدْرَةً مُحْدُودَةً كَقُدْرَتِنَا، إِلَّا أَنْهَا أَمَامَ قُدْرَةِ إِنْ اللَّامْتَنَاهِيَّةِ تَكُونُ مُتَسَاوِيَةً، فَلَا يَخْتَلِفُ خَلْقُ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ عَنْ خَلْقِ جَمِيعِ الْبَشَرِ مُطْلَقًا، وَخَلْقِ مَوْجُودٍ مَا فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ عَلَى مَدَى سَنِينَ طَوَالٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ الْمَطْلُوقَةِ. وَإِذَا كَانَ تَعَجُّبُ كَفَّارٍ قَرِيشٍ مِنْ أَنْهُ كَيْفَ يُمْكِنُ فَصْلُ الْأَجْسَادِ عَنْ بَعْضِهَا وَإِرْجَاعُ كُلِّ مِنْهَا إِلَى مَحَلِّهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الطَّبَائِعُ مُخْتَلِفَةً، وَالْأَشْكَالُ مُتَغَايِرَةً، وَالشَّخْصِيَّاتُ مُتَنَوِّعَةً، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ إِلَى تَرَابٍ وَتَطَايَرَتْ

_____ 1 - تَحَدَّثْنَا حَوْلَ (عِلْمِ إِنْ الْمَطْلُوقِ) فِي ذَيْلِ الْآيَةِ (109) مِنْ

سُورَةِ الْكَهْفِ.